أثر الغربة في قصص (متاهة كل صيف) للقاصة ليلى أبو العلا

The Impact of Alienation on the Stories (Matahat Kul Suyf) by writer Laila Abu lEla

أ.د. عبد الرحمن بن أحمد السبت
الأستاذ في قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة المجمعة.
a.alsabet@mu.edu.sa

Prof. Abdul Rahman bin Ahmed Alsabt
Professor at the Department of Arabic Language - College of Education - Majmaah University.
a.alsabet@mu.edu.sa

https://doi.org/10.56760/BTFV2745

ملخص البحث

تسعى الدراسة إلى الكشف عن أثر الغربة في مجموعة "متاهة كل صيف" القصصية، للكاتبة السودانية ليلى أبو العلا.

وقد تجلَّت في هذه المجموعة القصصية بعضًا من الآثار الإيجابية في الغربة، وأبرزها يتمثل في: شحذ الهمَّة على الكتابة الإبداعية وتدوين المذكرات اليومية، مع ما في بلاد الغربة من مكتبات وفعاليات ثقافية تفوق ما هو موجود في بلد الكاتبة، وفيها يلتقي أبناء البلد الواحد في مناسبات دينية أو اجتماعية، ويتخلَّل اللقاءات تبادل الأحاديث عن وطنهم ومجتمعهم الذي تغرَّبوا عنه، واكتشفت الكاتبة أنَّ في بلاد الغربة جودة في بعض الخدمات الحكومية، وفي بضاعتهم، وفي الأدوية العلاجية مما يفوق ما هو موجود في البلد الأم للكاتبة، كما أنَّ التقدُّم المعرفي والثقافي بارز في البلد الذي اغتربت فيه الكاتبة – بريطانيا، ومن إيجابيات الغربة أنَّ الكاتبة تستطيع أن تُقدِّم رسالة إيجابية عن دينها، ووطنها من خلال تعاملاتها وأخلاقها مع الآخرين.

كما صوَّرت الكاتبة بعض الآثار السلبية للغربة، ومنها: غياب الشعور الديني عند المغترب، والتهاون في أداء بعض الشعائر الدينية؛ لابتعاده عن أمكنتها، وفقدانه لسماعها، وكذلك: زواج بعض المغتربين من الأجنبيات وتفضيلهنَّ على بنات الوطن، أو زواج بعض المغتربات من أجانب متجاوزين بذلك الأعراف والتقاليد، كما تظهر آثار نفسية سيئة عند المغتربين أثناء وداعهم الأهل، بالإضافة إلى ما يحصل لهم من تعب أثناء إجراءات السفر، وقيود الأمتعة، ومقاعد الطيران التي لا يلتزم بها المسافرون، ثم الحالة النفسية السيئة بسبب البعد عن الأهل والوطن، والحنين والشوق إليهما، كما أوضحت القاصة بعض العادات السيئة التي يشاهدها المغترب في البلد الآخر مما يخالف عاداته وتقاليده، وثقافته الدينية، والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:
القصة القصيرة – القصة السودانية – الغربة – الإيجابية – السلبية.

Abstract

The study seeks to reveal the impact of alienation in the "Matahat Kul Suyf "story collection, by Sudanese writer Laila Abu lEla in terms of content.

Some of the positive effects of alienation have been evident in this collection of stories such as sharpening enthusiasm for creative writing and daily diaries. In addition to that, the rich libraries and cultural events in the country of exile that exceed what exists in the writer's home country and in which the people of the same country meet on religious or social occasions. These meetings are interspersed with the exchange of conversations about their homeland and society from which they have been away. The writer discovered that in foreign countries, there is a quality in some government services such as commodities and medical services, which are better than what is found in the his home country. Moreover, knowledge and cultural progress is also prominent in Britain, and one of the advantages of alienation is that the writer can present a positive message about her religion and her country through the way she behaves and deals with others.

The writer also portrayed some of the negative effects of alienation, including: the absence of religious feeling among the expatriates, and negligence of performing some religious rituals. Also, some expatriates marry foreign women instead of women of their homeland. Consequently, women of their homeland got married to foreigners which is considered as transgressing their customs and traditions. Still, there are bad psychological effects appear on the expatriates while they bid farewell to their parents, in addition to the fatigue that happens to them during the procedures of traveling, baggage restrictions, and airline seats. Consequently, longing and longing for home when remembering family and loved ones.

Keywords:
short story - Sudanese story - Alienation – the positive – the negative.

مقدمة

تعدُّ ظاهرة الغربة إحدى ظواهر الأدب العربي، قديمه وحديثه، وهي موجودة في شعره ونثره، يبوح فيها الأديب عن ألمه، ويشكي غربته، ويتوجَّع من وحدته وفراق مجتمعه، ويتفاءل في تحقيق أمله، وبزوغ فجر أمنياته، وتحقيق رغباته، والوصول إلى مراده.

وفي أثناء زيارتي لمعرض الكتاب الدولي المقام في الرياض عام ١٤٤٤هـ قمت بزيارة بعض المكتبات السودانية المشاركة في المعرض، ولفت نظري مجموعة قصصية قصيرة بعنوان: "متاهة كل صيف" للقاصة السودانية ليلى أبو العلا والتي ترجمها عادل بابكر من اللغة الإنجليزية إلى العربية فاقتنيتها بناء على مشورة من البائع، ولما قرأتها لفت نظري ظاهرة الغربة فيها، بصفة القاصة إحدى المواطنات السودانيات اللواتي عشْنَ جزءًا كبيرًا من غربتهن في بريطانيا، مع ما شاهدَته من مغتربين ومغتربات هناك من أبناء وطنها وبناته، فعزمت الكتابة عن هذه الظاهرة.

وتكمن مشكلة البحث في ظهور جوانب الغربة في كثير من أحداث المجموعة القصصية، وسأحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما الآثار الإيجابية للغربة على المغتربين في هذه المجموعة القصصية؟
٢. ما آثار الغربة السلبية على المغتربين في تلك المجموعة؟

وقد بحثتُ عن دراسات سابقة لهذه المجموعة القصصية فلم أجد شيئًا يتعلق بها، أما ما يخص الدراسات العامة عن الغربة فهي بعيدة عن هذه الدراسة، ولا يمكن أن أضعها ضمن الدراسات السابقة، مع الإفادة منها بوجه عام أثناء الدراسة والإشارة إلى ذلك في مواضعها، وقد اخترت المنهج الاستقرائي في الدراسة، متكئًا بصورة جلية على أداتي الوصف والتحليل؛ لوصف تلك الآثار الإيجابية والسلبية للغربة، وتحليل مظاهرها في تلك المجموعة القصصية.

وقد جاء البحث مكونًا من: مقدمة، ثم تمهيد، وفيه نبذة مختصرة عن القاصة ليلى أبو العلا، ووقفة قصيرة مع المجموعة القصصية: "متاهة كل صيف"، ثم مفهوم الغربة، وجاء بعد ذلك مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الإيجابية للغربة في: مجموعة "متاهة كل صيف" القصصية.

والمبحث الثاني: الآثار السلبية للغربة في: مجموعة "متاهة كل صيف" القصصية.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها أبرز النتائج.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

تمهيد

١ـ نبذة مختصرة عن القاصة ليلى أبو العلا:

ليلى فؤاد أبو العلا، مؤلفة روائية، وكاتبة قصصية ومسرحية، سودانية الجنسية، ولدت في القاهرة عام ١٩٦٤م، ونشأت في الخرطوم، حيث التحقت بمدرسة الخرطوم الأمريكية، وتخرجت من جامعة الخرطوم عام ١٩٨٥م في تخصص الاقتصاد، ونالت الماجستير في الإحصاء من معهد لندن للاقتصاد. عاشت مدة زمنية في أسكتلندا، وكتبت معظم أعمالها هناك، وهي تدرس وتعيش في الدوحة.

حصلت المؤلفة على جائزة "كين" العالمية للأدب الإفريقي عن قصتها "المتحف" (بالإنجليزية The Museum) التي تضمنتها مجموعتها القصصية

"أضواء ملونة".

ألفتْ أربع روايات، وعددًا من القصص القصيرة والمسرحيات، ومنها: حياة صوفي (مسرحية)، الدراما التاريخية أسد الشيشان، المترجِمة، أضواء ملونة، المئذنة، حارة الأغاني، المتحف، ومن القصص القصيرة: طبيب على سطح النيل، النعامة، الأيام دوارة.

وتمَّ بثُّ بعض أعمالها عبر إذاعة بي بي سي. وفازت روايتها (Lyrics Alley) "حارة المغنى" بجائزة الكتاب الأسكتلندي، وهي تحكي حياة عمِّها الشاعر السوداني عوض أبو العلا، وتستحضر فيها أزقة مصر والسودان وبريطانيا.

وضمَّنت روايتها (The Translator) "المترجِمة" في قائمة أفضل مئة كتاب في تصنيف نيويورك تايمز، وتُرجمتْ أعمالها من اللغة الإنجليزية إلى أربع عشرة لغة من بينها العربية (أبو العلا، ٢٠١٧م، الغلاف الأمامي، وكذلك: موقع الموسوعة الحرة (ويكبيديا) عن القاصة).

٢ـ وقفة مع مجموعة: "متاهة كلِّ صيف" القصصية:

صدرت مجموعة "متاهة كل صيف" القصصية في طبعتها الأولى عام ٢٠١٧م عن دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع بالخرطوم، وجاءت في مئة وثمان وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وترجمها عادل بابكر، وكُتِب جانب عنوان المجموعة بخط صغير: قصص قصيرة، ومجموعها إحدى عشرة قصة مختلفة في الطول، فأقصرها القصة الموسومة بـ: ("باربي" في المسجد) في خمس صفحات، وأطولها: (سماء أخرى) في إحدى وثلاثين صفحة.

أما عناوين القصص في المجموعة، فهي: (رحلة كاتبة من الخرطوم إلى أبردين، قاضية يافعة، باربي في المسجد، المعالجة الموهوبة، سماء أخرى، متاهة كل صيف، تعويذة، عينا فريدة، بانتظار رفقة، بيبي لاف، حرمان)، ونلحظ أنَّ المجموعة القصصية حملتْ عنوان إحدى القصص في تلك المجموعة.

وتتحدَّث أغلب هذه القصص عن غربة القاصة في بريطانيا، وغربة بعض السودانيين هناك، وكيف كان ذلك مؤثرًا عليهم إما إيجابًا أو سلبًا، وهو ما سأتناوله في مبحثي الدراسة.

٣ـ مفهوم الغربة:

تدلُّ كلمة (الغربة) في اللغة على معنى: "الذهاب والتنحِّي عن الناس... والغَرْبة والغَرْب والتغرُّب: النوى والبُعْد، وقد تغرَّب وغرَبَ: أي بَعُد، ويقال: اغربْ، أي: تباعدْ... والتغريب: النفي عن البلد الذي وقعت الخيانة فيه، والغُرْبة والغُرب: النزوح عن الوطن والاغتراب... والاغتراب: افتعال من الغربة". (ابن منظور، ١٩٩٤م، ١: ٦٣٨- ٦٣٩).

أما في الاصطلاح: فإنَّ الغربة هي: النزوح عن الوطن، والبعد عنه؛ لأسباب مختلفة، إما أنْ تكون سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية. (حور، ١٩٨٩م، ٦- ٨).

وبذلك يظهر لدى الفرد إحساس داخلي بأنه معزول عن مجتمعه الذي يعيش فيه، بما يعايشه ويشاهده من أمور تختلف عن عاداته وتقاليده الموجودة في مجتمعه الأصلي، وطريقة حياته التي عاشها في وطنه وتعود عليها، وكذلك في أشكال مجتمعه الجديد ولغاتهم وتقاليدهم الاجتماعية (عز الدين، ١٩٩٦م، ص٢٤٩)، وهذا ما يعيشه المغترب عن وطنه، شاملًا الجسد والروح، قائمًا على الخروج على الأعراف والتقاليد الاجتماعية، مضطرًا إلى اكتساب ثقافته، وعاداته، وتقاليده، وعقيدته، ومجمل تفكيره. (العبدالله، ٢٠٠٥م،

ص٨٠- ٨١).

ويرى البعض بأنَّ الاغتراب هو: الانفصال عن المجتمع وثقافته، وقيمه التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعه (النوري، ١٩٧٩م، ١٨)، بأن يحلَّ المغترب في مكان جديد عليه فتكون ثقافته مختلفة عن ثقافة هذا المكان وأهله.

ويظهر من الاغتراب: الحالة النفسية التي يشعر فيها الإنسان بالانفصال عن أفراد المجتمع، وعدم التواؤم والانسجام معهم، والشعور بالعزلة مع الآخرين؛ لعدم استطاعته التكيف معهم، والعيش بينهم، أو الانفصال عن الذات. (مساعدية، ٢٠١٣م، ٦٤- ٦٥).

وهناك استخدام متفاوت بين مصطلحي الغربة والاغتراب، فهناك من يرى أنَّ الغربة تكون داخل الوطن وخارجه، وأما الاغتراب فيكون خارج الوطن (الجبوري، ٢٠٠٨م، ٤٠)، وهناك من يرى بأنَّ "كل غربة حصلت قهرًا فهي غربة، وكل غربة حصلت طوعًا فهي اغتراب" (الخشروم، ١٩٨٢م، ١٦)، وهناك من لا يفرق بين المصطلحين في الاستخدام (طحطح، ١٩٩٣م، ٣٣، وكذلك: جعفر، ٢٠١٣م، ١٧، وكذلك: التميمي، ٢٠١٧م، ١٣٢- ١٣٣).

المبحث الأول:

الآثار الإيجابية للغربة

يعيش المغترب بعيدًا عن وطنه، فتتغيَّر عليه الحياة، ويشاهد مناظر مختلفة عمَّا كان يشاهدها في وطنه، فيرى أشياء غير مألوفة له عندما كان بين أهله وأبناء وطنه، في مجتمع تعوَّد فيه على نظام معيَّن، وتقاليد وعادات اجتماعية ألفها منذ الصغر.

ومع هذا الاختلاف الكبير بين ما اعتاد عليه المغترب في وطنه وما يشاهده في بلاد الغربة، إلا أنه يخرج ببعض الآثار الإيجابية أثناء تلك الغربة، ويمكن أن نطلق على هذا النوع: "الاغتراب الإيجابي"(مساعدية، ٢٠١٣م، ١١٢)، أو "الغربة الإيجابية".

وقد أشارت القاصة السودانية ليلى أبو العلا إلى بعضٍ من تلك الآثار في مجموعتها القصصية الموسومة بـ: "متاهة كل صيف"، وهي تعود على المغترب السوداني الذي غادر وطنه ومجتمعه وأهله بالمتعة والفائدة، وتتنوع حسب أثرها الثقافي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، وتتلخص أهمها في الآتي:

أولا: الغربة دافع للكتابة الإبداعية، وتدوين المذكرات اليومية:

للغربة أثر على المغترب في بعث الأفكار التي تساعده على تدوين ما يشاهده أثناء غربته، وما يدور في أيامه ولياليه من مشاهدات متنوعة، وآثار مختلفة سواء أكان ذلك من الناحية الدينية، أم الثقافية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية، مما يشحذ الهمم، ويبث الحماس، ويدفع القلم لتدوين تلك المشاهدات، وتسجيل ما يتعلَّق بها من مذكرات يومية مختلفة، فهي بذلك "تشحن الكتابة، والكتابة تمدُّ الغربة بالعمق والاتساع"(شهاب، ٢٠١٣م، ١٢٢)، ويمكن أن يُطلق على ذلك: "الاغتراب الإبداعي"، إذْ يدور صراع بين الكاتب وذاته، فيكون حينها مهيأ للإبداع الفني. (التميمي، ٢٠١٧م، ص١٣٢- ١٣٣).

تذكر القاصة ليلى أبو العلا أنَّ انطلاقتها في الكتابة الإبداعية عندما كانت في غربتها، تقول في قصتها الموسومة بـ: "رحلة كاتبة.. من الخرطوم إلى أبردين": "لم أصبحْ كاتبة إلا بعد أن غادرتُ السودان. كان ذلك السفر هو الذي زوَّدني بالمادة والموضوع اللَّذين أحتاجهما للكتابة". (أبو العلا،

٢٠١٧م، ١١)، فيظهر أثر الاغتراب جليًّا على الكاتبة بتزويدها بالمادة المكتوبة، ونوعية الموضوع الذي تريد أن تخوض الكتابة فيه، وفي ذلك طاقة إيجابية، وأثر نفسي ملهم ساعد على انطلاقة سريعة نحو الإبداع والاستمتاع بما يتم تدوينه، وإذا توفّرت الأسباب، وكانت عند الكاتب أرض خصبة للكتابة فإنَّ الإبداع سيتجلَّى فيما يصبه قلمه من كلمات وعبارات في تصوير أدبيٍّ يحكي تأثير تلك الغربة على فنِّه الأدبي.

وتذكر القاصة أنَّ الحافز الأول، والسبب الرئيس في إيقاظ مكامن الإبداع، وإمداد قدرتها في كتابتها القصصية نابع من مغادرة بلدها السودان، والعيش في الغربة، إذْ تقول في القصة السابقة نفسها: "ويبدو أنَّ كلَّ تلك الصدمات كانت بمثابة الحافز الذي أيقظ في دواخلي القدرة على الكتابة. وربما ظلَّت تلك القدرة نائمة في دواخلي إلى الأبد لو أنني لم أغادر الخرطوم". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١١)، فهي تدرك أثر الضغوط النفسية في شحذ الهمم لرفع الدافعية إلى الكتابة، وتدوين ما يمرُّ بالإنسان من مواقف مغايرة لما ألفها عندما كان في بلده، سواء أكانت مواقف إيجابية له، أو غريبة ذات أثر سلبي تجاهه مما يستدعي الكتابة عنها، والإشارة إليها، وخاصة في الكتابة القصصية التي تناسب التصوير السردي لتلك المواقف المتنوعة.

كما تصوِّر الكاتبةُ المنفى بأنه شيء إيجابي، فهو ملهم للكتابة، وسبيل للإبداع، ووسيلة يمتطيها الأديب لتصوير بلده الأم بنظرة متأملة عن كثب، مقارنة بما يشاهده في بلده الذي استقرَّ فيه، فهي تقول في القصة السابقة نفسها: "السفر خارج الوطن يعتبر أمرًا إيجابيًّا بالنسبة لأيِّ كاتب. النظر إلى موطنك من بعيد يتيح الفرصة للكاتب لكي يكون موضوعيًّا، وهذه هي إحدى خصائص الكاتب. إنه هو الذي يقف في الجانب، يلاحظ ويحذِّر. في المنفى يتوفر لديك الحيِّز الزمني والمكاني بعيدًا عن زحمة ومشاغل الحياة اليومية". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٢)، وفي ذلك إشارة إلى جانبين مهمين يجعلان الكاتب يأوي إلى قلمه، ويشحذ همته للإبداع، تتجلَّى في المكان الإيجابي الملائم للكتابة، فأحيانًا تجد أنَّ المكان سلبيٌّ ليس مهيأ للإبداع، ويقف حاجزًا بين الكاتب وقلمه، بما يحتويه ويحيط به، كما أنَّ العامل الزمني له تأثير واضح على الكاتب، فهناك أزمنة لا تناسب الإبداع، إما لتوتر ما، أو لكثرة الارتباطات الاجتماعية مما يستحيل أن تجد وقتًا للكتابة، وغير ذلك من الأسباب، أما في الغربة فإنَّ الأمرين يشرعان أبوابهما للكاتب، ليحلِّق في سماء الإبداع، وينثر كلماته عبر مدوناته المتنوعة، وخاصة القصصية منها.

ويشعر المغترب بأنَّ لديه نقصًا، وأنَّ هناك شيئًا مفقودًا، فيبحث عنه في الكتابة، وإخراج المشاعر في قصص تحكي حاله وشأنه، وهذا ما ذكرته القاصة في قولها: "بالنسبة لي كان الاغتراب هو الذي حرَّضني ودفعني للكتابة. لماذا؟ الإجابة في اعتقادي، تكمن في قوة الكلمات، قدرة السرد والقصِّ على التعويض عن شيء مفقود". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٥)، وأعتقد أنَّ أكثر ما يفقد المغترب وطنه الذي عاش فيه، وأهله ومجتمعه الذين ربطتهم به أواصر المحبة، والمشاعر المتبادلة، واللقاءات الاجتماعية التي تشعر الفرد بكيانه داخل المجتمع، وهو ما يتغير جذريًا أثناء الاغتراب، مما يجعل المغترب يشعر بأنه شخص دخيل على مجتمعٍ جديد، يختلف عن أهله في العادات والتقاليد والثقافة والدين وغير ذلك من الاختلافات التي ينعكس أثرها على نفسيته؛ بل إنه يجد الزمن المتسع للكتابة، مما يجعله يبحث عن مخرج يسلو به، ويشغل أوقاته، ولعلَّ

الكتابة إحدى الوسائل التي وجدتها القاصة أثناء إبداعاتها السردية، متكئة على الغربة التي شخَّصتها بالإنسان المحرض على الحركة، والقيام بعمل ما.

ثانيا: كثرة المكتبات، وتنوع البرامج الثقافية:

يحتاج المغترب إلى المكتبات وبعض البرامج والفعاليات الثقافية، وخاصة المغتربين للابتعاث والدراسة، أو ممن يحرص على الثقافة واستغلال الوقت بما يفيد في الذهاب إلى أمكنة الثقافة ومعالمها أثناء غربته.

ومن الأمكنة الثقافية: المكتبات، فالقاصة ليلى أبو العلا تثني على بريطانيا التي عاشت فيها جزءًا من غربتها بتوفّر المكتبات في أرجائها، تقول في قصتها: "رحلة كاتبة.. من الخرطوم إلى أبردين": "من أكثر الأشياء التي أحببتها في المملكة المتحدة انتشار المكتبات العامة. صحيح أنَّ بإمكان المرء شراء الكتب من أيِّ مكان، ولكنْ في اعتقادي أنَّ إمكانية استلاف الكتب مجانًا من مكتبة عامة هي الوحيدة التي تسدُّ جوع القراءة، فوفرة الكتب، وحرية الاختيار، وإدراك المرء أنَّ بإمكانه إعادة الكتاب إذا لم يعجبه بدون أن يخسر شيئًا... كل ذلك يشجّع القارئ على المخاطرة والتجريب وإشباع رغبته في قراءة الأشياء التي يحبها". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٨)، فالقاصة أبانت عن مكان غربتها (المملكة المتحدة)، وذكرت أنَّ ما يسليها عن ذلك، ويقضي وقتها بما ينفعها هو وفرة المكتبات، وهذا أمر إيجابي، فالمثقف لا ينفصل عن هذه الأمكنة، والذهاب إليها، واستعارة الكتب منها، فهي بالنسبة له غذاء يومي يحتاجه في دراسته، وبحوثه، وكتاباته، وتسلياته؛ بل إنه يعقد السفر من أجلها.

ومن البرامج التي يعيشها المغترب: حضور بعض الفعاليات الثقافية، وهو أمر إيجابي له، يفيد منها، ويأخذ منها ما ينفعه، ويطور ذاته، تقول القاصة: "منذ البداية أتاح لي وجودي في المملكة المتحدة فرصًا أفضل للوصول إلى الكتب، وتنوعًا أكبر في قراءتي، كان أمرًا ممتعًا أن أعيش في وسطٍ ثقافي يحتفي بالقراءة ويقدّرها. كانت هنالك برامج إذاعية مخصَّصة لمناقشة الإصدارات الجديدة، وكانت هنالك برامج جماعات تجتمع لمناقشة الكتب، وكانت هنالك برامج تلفزيونية عن حياة الكتاب. كل هذه سعيتُ لها، وأصبحتْ ضمن أنشطتي في حياتي، وهي ما اكتسبتُه من الانتقال إلى بريطانيا". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٨).

وأعتقد أنَّ الإنسان المثقف سواء أكان أكاديميا أو غيره، وسواء أكان طالبًا أم موظفًا، فإنه يحتاج إلى هذه الجرعات الثقافية التي تزيد نشاطه، وترفع همته، وتطور ذاته، وهو ما وجدته القاصة في غربتها، وألفته في أيامها ولياليها، فكانت برامج ذات أثر فعَّال في حياتها، تسلو بها، وتنهل من مصادرها المتنوعة.

كما أنَّ في الغربة تعرّفًا على الأدب المحلي لتلك الدولة، ووقوفًا على أهم ملامحه، وسماته التي يتسم بها، تقول القاصة: "بدأتُ أقرأ قراءة نقدية بدلًا عن الاكتفاء بالقراءة للمتعة، وأصبحت أشارك في مناقشة الكتابة السردية من ناحية طرائق السرد ومناهجه. وشيئًا فشيئًا اكتسبت الأسلوب الواقعي الذي يميز الأدبين الأسكتلندي والأمريكي، ومن أهم سماته أن يبدو الحوار طبيعيًا، والشخصيات غير منفصلة عن سياقها الاجتماعي والاقتصادي". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٨)، فبالتأكيد من خلال النص المسرود يتضح التطور الثقافي للقاصة، إذ تحولتْ إلى النقد في قراءتها، بدلا عن قضاء وقت القراءة للتسلية والمتعة، كما أنَّ الأمر تطوَّر إلى المقارنة بين أدبين

مختلفين، وهذا ما يجعل الثقافة تزداد حجمها عند الأديب، وتكبر مسؤولياتها، فالمجال ليس سهلا أن تعقد مقارنة في ذلك إلا إذا كنت تملك معلومات كافية، وأدوات وافية، وذهنًا واعيًا، وقلَّما يدرك الكاتب خطورة الانزلاق في عقد موازنة بين أدبين.

كما أنَّ الفعاليات الثقافية لها نصيب من الحضور في الغربة، وتحرص الكاتبة على حضورها والإفادة منها، وخاصة في الأدب، تقول: "كذلك أخذتِ المكتبة المحلية تنظِّم قراءات لشعراء وروائيين مشهورين. وكنتُ من جانبي أحرص قدر الإمكان على حضور أكبر عددٍ ممكن من هذه الفعاليات خاصة وأنها كانت مفتوحة للجمهور ويتمُّ الترويج لها بكثافة. كان ذلك في بواكير ومنتصف تسعينيات القرن الماضي، أوان ظهور حركة واقعية جديدة في أسكتلندا شكَّلت رافدًا جديدًا ومثيرًا في الكتابة الإبداعية في بريطانيا. أولئك الكتاب الأسكتلنديون الذين كانوا يحصدون الجوائز ويحوزون الاعتراف والقبول كانوا يعيشون قريبًا مني". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٩)، فهذا المشهد الثقافي يتجلَّى في الأحياء السكنية القريبة من القاصة، وفي حضورها جانب إيجابي لها، وينمِّي الثقافة الأدبية عندها، وتتطلَّع على شعراء وروائيين وما قيل عنهم من دراسات وقراءات آنية الحدث، وخاصة أنها لقامات أدبية مشهورة على الساحة الأدبية في بلد غربتها التي أقامت فيها، مما يعني الوقوف على المشهد الأدبي والأخذ منه مباشرة دون نقل شفهي أو كتابي من الآخرين.

كما توضِّح القاصة نوع التأثر الأدبي الذي أخذته عن الأدباء الأسكتلنديين، فقد اعتبرتهم مصدرًا رئيسًا من مصادر أدبها الخاص، تقول: "كان هؤلاء الكتَّاب مصدر إلهام لي، معظمهم لم يلجوا إلى هذا العالم من خلفيات أدبية وكانوا يدافعون عن ثقافتهم وتقاليدهم الأسكتلندية التي كانوا يرون أنها تتعرَّض للتهميش بفعل هيمنة الذائقة اللندنية، فبدلًا عن الكتابة عن دوائر السلطة في لندن، كتبوا عن العاطلين عن العمل، عن طبقات العمال ... - بالنسبة لي كان ذلك يعني وجود مساحة لمهمَّشين من نوع آخر ‖ المهمَّشين بسبب الانتماء الديني، من المهاجرين أو طالبي اللجوء، كان ذلك يعني أنه بات بوسع المسلمة المحجبة والمهاجر السوداني المتردِّد بين البقاء والعودة أن يحظوا بمكان في الأدب العالمي". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٩، وقولها: فبدلا عن، صوابه: فبدلًا من ...)، فهي تشير بذلك إلى تأثرها بالأدب الواقعي، وما يناقشه من موضوعات اجتماعية أثارت تفاعلها، ونالت شيئًا من مبتغاها، فهو يتحدث عن شيء من غربتها، والموضوعات التي تتعلَّق بها في وطنها الآخر، مما يعني تفاعلها مع هذا الأدب، واختيارها له لمناسبة الحالة التي تمر بها في غربتها، وهو من الأدب الاجتماعي الذي يحكي حياة المجتمع وتصوير مشكلاته، ومحاولة المشاركة في حلِّها.

ثالثا: اللقاءات الدينية والاجتماعية:

يعيش المغترب - وخاصة السوداني - هموم دينه ووطنه، ويتابع أحوالها وشؤونها عن بُعْد، ويتذكَّر مع أصدقائه من أبناء جلدته الأيام التي عاشوها قبل مجيئهم إلى الغربة، وتأتيهم الأخبار عن بلدهم عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، أو الاتصالات على الأهل والأقارب، أو من اللقاءات الاجتماعية مع أبناء وطنه المغتربين أمثاله ممن وصلتهم الأخبار من هناك بأية وسيلة من وسائل الاتصال المتنوعة.

وتبين القاصة السودانية ليلى أبو العلا

اللقاءات الدينية التي تجمع أبناء وطنها في بلاد الغربة، فهي فرصة سانحة لرؤية بعضهم بعضًا، وتجاذب أطراف الحديث عمَّا يخصهم من أمور متنوعة، تقول في قصتها الموسومة بـ"سماء أخرى": "قالت له: لقد بدأ بعض الناس يفدون إلينا من المسجد. الجمعة يوم جيد بالنسبة لنا. نعم، لقد كان يوم جمعة حين أتيتُ إلى هنا أول مرة والتقيتُ بك". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ٤٠)، فهذه المناسبة الدينية وغيرها من المناسبات فرصة لالتقاء المغتربين بعضهم مع بعض، وهي دافع رئيس للأديب أن يصوِّر مشاعرهم، والموضوعات التي يطرحونها أثناء لقاءاتهم، وتصوير مشاعرهم، وأفراحهم وأحزانهم، وكل ما يحيط بهم من أمور أثناء تلك اللقاءات، مؤكدة ذلك بيوم الجمعة الذي كررته للتأكيد على أهمية اللقاء فيه.

وهناك ملمح اجتماعي يكمن في التكاتف بين السودانيين المغتربين عند حدوث المصائب والملمَّات التي تصيب أحدهم، تصوِّر القاصة موقف أحد المغتربين في بريطانيا أثناء مرافقته تشييع مغترب آخر قائلة في القصة نفسها: "انطلقوا بالسيارات إلى المقبرة خارج المدينة. لم يعدْ يسأل نفسه لِمَ يرافقهم؟ بدا ذلك هو الشيء الطبيعي. في السيارة كان هنالك شعور جديد بالراحة سرى بينهم، نوع من الرباط الذي نشأ بينهم لأنهم صلَّوا معًا. تحدَّثوا عن موعد الدفن الذي أذيع في الراديو عقب نشرة الأخبار، وعن إعلانات التعزية التي ستنشر في الصحف في اليوم التالي". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ٥٥)، فالمشاركة في مثل هذه المناسبات أمر حتمي، ليس للرجل السوداني خيار في التخلِّي عن أبناء وطنه في وقت هم في أشدِّ الحاجة إلى الاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف، مبينة ذلك بأسلوب مزيج بين الاستفهام المتكئ على الحوار الباطني، وكذلك الحوار العام بينهم جميعا أثناء الاستعداد لمراسم الدفن والعزاء.

كما توضِّح القاصة السودانية ما يدور في اللقاءات الاجتماعية في غربتها مع أبناء وطنها من السودانيين المغتربين في بريطانيا قائلة في قصتها: "رحلة كاتبة.. من الخرطوم إلى أبردين": "نعم يجتمع السودانيون في بريطانيا. فنحن نجتمع لنأكل الأطعمة التي اعتدنا على تناولها ونضحك بالطريقة التي ألفناها. نسترجع الماضي ونلتمس الدفء في بعضنا الآخر، ونلتقي في العصر أو المساء لكي ننسى أننا لسنا في السودان، وغنيٌّ عن القول أننا في تلك اللقاءات الدافئة اللطيفة كنَّا نتجنَّب تمامًا مناقشة المواضيع الصعبة الحسَّاسة. متى نعود/ هل نعود؟ هل يجدر بنا المغادرة؟ ماذا عن أطفالنا؟ ما هي علاقتهم بالسودان؟ إلى أيِّ مدى سيذهبون بعيدًا عنَّا؟ لا شيء من هذه الأسئلة يثار. نأكل ونشرب الشاي ونغادر بعد أن سلَّينا بعضنا الآخر وأدخلنا الطمأنينة في بعضنا الآخر إلا أنَّ هذه الأسئلة تبقى بلا إجابات. وهي على كلِّ حال أسئلة تعتبر ترفًا في ضوء صراع المغترب من أجل البقاء. شعرتُ أنَّ طرح هذه المعضلات في هذه اللقاءات الاجتماعية سيكون تصرفًا محرجًا للآخرين. ولهذا احتفظتُ بتخميناتي ومشاعر قلقي لنفسي فتسللتْ إلى عقلي الباطن وكانت بمثابة الوقود الحقيقي لكتاباتي التي تناولت صراع الحضارات وفقدان الهوية وأحلام اليقظة". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٤).

أشارت القاصة إلى هذه اللقاءات الاجتماعية بين أبناء الجالية السودانية في بريطانيا، فذكرتْ أنها للتسلية وحسب، ولم تخرج عن طور الحديث العام، إذْ لم تناقش همومهم، أو هموم أبنائهم، وإنما دار حوار باطني قائم على مخاطبة الشخص لنفسه بالاتكاء على أسلوب الاستفهام عن طريق طرح أسئلة متنوعة دون وجود سامع، فهو مناجاة غير

ملفوظة. (عبد السلام، ١٩٩٩م، ٧٩)، ولذلك أسماه بعضهم بـ: القصّ النفسي. (كرم الدين، ٢٠١٢م، ٢٠٢).

ويأتي الحوار فيه غير مباشر، إذ "ترتدُّ الشخصية إلى داخلها في هذا اللَّون من الحوار، لتقيم حوارها مع العالم الخارجيِّ عبر أسئلة وانثيالات نفسية، تعكس موقفها تجاه ما يجري" (ندى حسن، ٢٠١٨م، ١٦٧)، وهذا ما جعل القاصة تتكئ في كتابتها على أسلوب الاستفهام الذي يعبِّر عن الشعور بالخوف والقلق، مما كان عاملًا ثريًّا للكتابة القصصية لكي تروي غليلها من لواعج حزن يعتريها في هذه الغربة المضنية.

رابعا: الجودة والإتقان في بعض الخدمات:

تثني القاصة ليلى أبو العلا على جودة المأكولات، وتنظيم الباعة لبضاعتهم في الأسواق البريطانية البلد الذي تعيش غربتها فيه، وكذلك جودة العلاج الموجود في الصيدليات مقارنة لما شاهدته في وطنها الأم (السودان)، تقول في قصتها المعنونة بـ"حرمان": "تستطيع أن تشتري لحمًا تمَّ تقطيعه مسبقًا وتجهيزه على الكيفية التي تريد. والبقالات تحتشد بكلِّ أنواع البسكويت والحلويات لكي تختار منها ما تشاء - وهي ليست باهظة الثمن على الإطلاق. حتى الصيدليات تزخر بأدوية بشتَّى الألوان والنكهات حتى كادتْ تتمنى لو أنها مرضتْ لكي تنال حظَّها منها. كلُّ شيء تلمسه متقن الصنع، الجودة والإتقان يشعَّان من كل شيء. "بنسات" الشعر لا تتقصَّف عند ملامسة أظافرها كما كان يحدث دائمًا. و(اللبان) لا يمتُّ بصلة إلى ذلك العود المتقصِّف الذي يذوب في فمها عند أول عضَّة". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٤٤)، فالدهشة تحيط بالكاتبة من روعة المنتوجات، وطرق تقديمها للمشترين، بالإضافة إلى جودة العلاج الذي يحتاجه المريض مما هو موجود في الصيدليات إلى درجة الاتكاء على الوصف باستخدام أسلوب المبالغة في وصفها بأنها تتمنى أن لو كانت مريضة فتأخذ منها، وهذا يشي برداءة ما وجدته في وطنها الأم من رداءة المنتوجات، سواء أكان من الأطعمة الغذائية المتوفرة في الأسواق، أو كانت من الأدوية العلاجية الموجودة في الصيدليات.

ومن الطريف في الأمر ثناء القاصة على تصاميم العُلَب التي تقدَّم بها بعض الأغذية، فهي لم تستطع التفريط بها، ورميها بعد الانتهاء منها، بل حوَّرت ذلك إلى منافع أخرى، للإفادة منها في حفظها لبعض الاحتياجات المنزلية، وتقديم بعضٍ منها إلى أهلها لاستخدامها في منافع منزلية متنوعة، كما أنها أرسلتْ بعضًا منها إلى جارتها، وهذا دليل على تعدُّد منافعها بعد الانتهاء منها، وما دام الأمر كذلك فكيف بجودة ما بداخلها! تقول في القصة السابقة: "جرار المربَّى جميلة التصميم. بعد نفاد محتوياتها كانت تغسلها وتجفِّفها ولا تطاوعها نفسها على التخلُّص منها. علب البسكويت المعدنية قرَّرتْ أنْ تجمعها لتأخذها معها إلى أهلها. ستستخدمها أمها كأوعية لتخزين الدقيق أو السكر، وربما اختارت أنْ تضع فيها شيئًا من الخبّيز الذي تصنعه بيديها ثم تبعث بها إلى جارتها التي تعيدها إليها بعد أيام وبداخلها هدية من نوع آخر". (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٤٤-١٤٥).

ومن الجودة في الخدمات الحكومية ما يتعلَّق بالكهرباء، فالمجتمع اللندني لا يعاني أهله من الانقطاعات المتكرّرة في الكهرباء كما يحصل مع أهالي الخرطوم، إذْ تواصل القاصة سردها قائلة: "لكن يا سمرة، هل تريدين أنْ ينقطع التيار الكهربائي في لندن؟ تخيلي: المصاعد، إشارات

المـرور، القطـارات. الفـوضى والخـوف. سـيكتبون عـن ذلـك في الصحـف ويتحدثـون في التلفزيـون. أمَّـا في الخرطـوم فهـذا حـدثٌ عـادي، واحـدٌ مـن المنغصـات، جـزءٌ مـن بـؤس الحيـاة، الثلاجـات تتحـوَّل إلى خزانـات، ويتعفَّـن الطعـام بداخلهـا". (أبـو العـلا، ٢٠١٧م، ١٥٠-١٥١)، فهي تـدرك أهمية هـذه الخدمـات التـي أنعـم الله علينـا بهـا، وتعـرف أنَّ فقدانهـا لـه أثـر عـلى البيـوت في تخزيـن أطعمتهـم الغذائيـة اليوميـة، ممـا يعنـي الفـارق الشاسـع بـين الخدمـات في البلديـن، ممـا يعـدُّ مـن الإيجابيـات التـي يعيشـها المغـترب السـوداني، وخاصـة في بريطانيـا، متكئـة في أسـلوبها عـلى الاسـتفهام الإنـكاري (هـل تريديـن؟!)، وكأنهـا تسـتبعد الأمـر، وتجعلـه مـن المحـال؛ لأنَّ ذلـك لـن يمـرَّ مـرور الكـرام، فسـتعقبه آثـار وخيمـة، وسـيكون حديـث وسـائل الإعـلام المختلفـة هنـاك.

خامسا: التقدُّم المعرفي:

تعتنـي بعـض الـدول المتقدمـة بالخدمـات المعرفيـة التـي تقدِّمهـا لأفـراد مجتمعهـا في سـبيل تطويرهـم ثقافيًّـا وعلميًّـا في شـتَّى المعـارف والعلـوم.

ومـن الأشـياء المقدَّمـة للمجتمـع: توفـير المكتبـات في الأحيـاء السـكنية، والعمـل عـلى إيجـاد سـبل الراحـة للباحثـين، سـواء أكان في توفـير الكتـب المهمـة في التخصصـات المتنوعـة، أم في وجـود وسـيلة البحث السريعـة وخاصـة التقنيـة التـي تخـرج لـك مـا تريـده بسرعـة فائقـة، تقـول الكاتبـة في قصتهـا "حرمـان" مبينـة تقـدم العاصمـة البريطانيـة ثقافيـا: "هـرع إلى هنـاك، إلى تلـك الكليـة في الجانـب الآخـر مـن لنـدن، وكان ذاك حدثًـا في ذاتـه لأنـه كان دائـمًا إمَّـا قابعًـا في المكتبـة، أو يسـتخدم الكمبيوتـر المركـزي. وجدهـا. نَسَـخها، ثـم غفـل راجعًـا لا تـكاد تسـعه الفرحـة والإعجـاب بهـذا النظـام المعـرفي الدقيـق، والتقنيـة التـي تتيـح للمـرء تقصِّي مـكان وجـود المـواد المكتوبة، نحـن متخلِّفـون بعـدة قـرون، سـيقول لهـا فيـما بعـد. في أشـياء كهـذه، الشُّـقَّة بيننـا والآخريـن أوسـع مـن أن تُـرْدَم". (أبـو العـلا، ٢٠١٧م، ١٥٣)، فالخدمـة المقدَّمـة لهـذا المغـترب وغـيره مـن روَّاد المكتبـة كانـت في تلـك النتيجـة التـي حصـل عليهـا عـن طريـق البحـث الإلكـتروني الـذي يرشـدك إلى مبتغـاك بسرعة مذهلـة تغنـي عـن بحثـك عنهـا في أرفـف المكتبـة مدة زمنيـة طويلـة موفِّـرة بذلـك الوقـت والجهـد، ولعل في ذلـك حـث لمواكبـة التطـور ولحـاق الركـب في بلـده، بمسـايرة هـذه الـدول المتقدمـة في مجـالات التقنيـة الحاسـوبية.

سادسا: أداء رسالة دينية ووطنية:

كلُّ إنسـان مغـترب يعطـي انطباعًـا عـن دينـه ووطنـه اللذيـن ينتمـي إليهـما، فهـو يـؤدِّي رسـالة في غربتـه، ببيـان سـمات الديـن الـذي يديـن بـه مـن خـلال تعاملـه، وتصرفاتـه، وأقوالـه، وأفعالـه، وكذلـك يعطـي انطباعًـا للآخريـن عـن البلـد الـذي ينتمـي إليـه، وأخـلاق أبنـاء البلـد، وغـير ذلـك.

ومـن الآثـار الإيجابيـة التـي أدركتهـا القاصـة السـودانية ليـلى أبـو العـلا في غربتهـا أنهـا تقـدِّم جـزءًا مـن الأمانـة الموكلـة عـلى المسـلم في هـذه الحيـاة، تقول في القصـة المعنونـة بـ: "رحلـة كاتبـة.. مـن الخرطـوم إلى أبرديـن": "قلـتُ لنفسـي ربـما قذفـتْ بي الأقـدارُ لأداء مهمـة مـا، لأداء دور مـا، تقديـم هديـة، بـذرِ نبتـة، أسـتطيع إدخـال الإسـلام في الأدب البريطـاني. أسـتطيع أن أكتـب روايـات تعكـس منطـق المسـلمين بـأن أوظِّـف شـخصيات تحـاول ممارسـة عقيدتهـا أو تقبـل إرادة الله في ظـروف صعبـة". (أبـو العـلا، ٢٠١٧م، ١٦- ١٧)، وهـذا المعنـى الـذي تشـير إليـه وترومـه الكاتبـة مـن خـلال حوارهـا الباطنـي مـع نفسـها عمـل شريـف، وهـدف سـام لهـا في هـذه

الحياة، فتقديم الإسلام بكلمة حسنة، وتعامل طيب يؤدِّي ما لا تؤديه الوسائل الأخرى من التأثير والإقناع برقي الدين الإسلامي بتعاليمه وتوجيهاته السمحة، سواء أكان في تعامل الإنسان مع خالقه، أو مع غيره من البشر.

هذه جملة من الآثار الإيجابية للغربة في قصص: "متاهة كلّ صيف" للقاصة السودانية ليلى أبو العلا، أشارت إليها في مجموعتها القصصية، وما يتعلَّق فيها من تعامل مع الآخرين، ورؤية عن قرب أثناء غربتها في بريطانيا تجلَّتْ في سردها لها مما يعطي انطباعًا جيدًا عن أدب المغتربين، والفوائد التي يأخذونها ويقدمونها في غربتهم عن دينهم وأوطانهم ومجتمعاتهم.

المبحث الثاني:الآثار السلبية للغربة

تعدُّ الغربة إحدى الظواهر النفسية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تتمثَّل في التنافر بين الذات والآخر، والمكان، والزمان، والعمل، والطبيعة. (الذيابات، ٢٠١٧م، ص٤).

وبناء على ذلك، تظهر بعض الآثار السلبية المتنوعة على المغترب عن وطنه، ويمكن أن نطلق عليها "الغربة السلبية" أو "الاغتراب السلبي"(مساعدية، ٢٠١٣م، ١١٣)، وفيه يشعر المغترب ببعض الأسى والحزن، واليأس، والتهاون، والقلق، والضعف، وحب الذات، وعدم التعاون مع الآخرين.

وقد بيَّنت القاصة السودانية ليلى أبو العلا بعضًا من تلك الآثار السلبية في مجموعتها القصصية "متاهة كل صيف"، وأهمها ما يأتي:

أولا: غياب الشعور الديني، والتهاون في بعض الشعائر الدينية:

يغترب المواطن السوداني عن بلده إلى بلاد الغرب كغيره من أبناء بلدان العالم الإسلامي، فتغيب عنه رؤية معالم الدين، مثل: المساجد، ويقلُّ اللقاء بأبناء بلده المسلمين، وهذا قد يؤثر - أحيانًا - على الوازع الديني لديه، من تأخير في أداء الصلاة في وقتها، وقلة سماع الكلمات المرتبطة بالإسلام، من أذكار، وتسبيح، وتهليل، وحمدٍ لله سبحانه، وغير ذلك.

وقد لاحظتِ القاصة في غربتها شيئًا من هذا التأثر في أبناء السودان، تقول في القصة الموسومة بـ: "رحلة كاتبة.. من الخرطوم إلى أبردين" : "كنتُ قلقةً بشأن مستقبل الجيل الثاني من السودانيين والمسلمين المغتربين في الغرب ... لاحظتُ كيف كان الآباء يجتهدون للتكيُّف مع حياتهم الجديدة ويبذلون قصارى جهدهم للاستفادة منها في حين كان أطفالهم رويدًا رويدًا وفي صمت ينسلخون من سودانيتهم ومن إسلامهم ويتحولون شيئًا فشيئًا إلى جزء من بريطانيا"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٣)، فهي تكتب شيئًا حقيقيًّا لاحظته في غربتها، وتصوِّر أحوال المغتربين من أبناء وطنها، وليست الكتابة حالة تخيّلية تنسجها من الخيال فتقدمها للقراء، وإنما الواقع ينبئ عن إطلاق صافرة إنذار إلى الآباء والأمهات للتمسك بهويتهم الدينية والوطنية، فليس الابتعاد عن الوطن عذرًا في التهاون أو الانسلاخ عن معتقدات المسلم وشعائره.

وتشير الكاتبة إلى فقدها لبعض شعائر الإسلام، فتقول في القصة نفسها: "ومما زاد من وطأة ذلك الإحساس غياب صوت المؤذن، غياب كلمة إن شاء الله، والحمد لله، غياب الشعور الديني. لقد تركتُ ورائي حياة مرتبطة بالمصدر، عالمًا تتحرَّك فيه الملائكة بين البشر، حيث من المعتاد أنْ تقول "بكرة كان الله حياني..." الآن أجدني أصلِّي في مكان لم يعدْ أهله يصلُّون. كنتُ أجنبية وجديدة

تمامًا كالكلمات: رمضان، والحجاب، والحج، والعيد..."(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٦)، فالمسلم يحرص على أداء الشعائر الدينية وخاصة الصلاة عندما يكون قريبًا من المسجد، ويسمع صوت الأذان، وعندما يبتعد يصيبه وهنٌ، ولكن المسلم المرتبط بربه المتعلِّق به يلزمه بذل المزيد من الحرص عن حاله التي لو كان عليها في وطنه بين المآذن والمنابر وسماع المؤذن وهو ينادي إلى الصلاة، وبين أبناء مجتمعه الذين يشاهدهم وهم يذهبون للمسجد ما بين ذكر لله سبحانه، وتهليل له، وتسبيح، وتسوق القاصة كل ذلك بأسلوب سهل، مع إدخال بعض الكلمات السودانية الدارجة "حيّاني"، لتقريب الكلام إلى قلوب القراء، وتخيل الحدث عن قرب.

وفي يوم من أيام الغربة دار حوار بين زوجة وزوجها من السودانيين المتزوجين حديثًا قائلة له في القصة المعنونة بـ"حرمان": "وين القبلة؟ كان عليه أنْ يجتهد للتعرُّف على اتجاه الكعبة. مكَّة تقع إلى الجنوب الشرقي من بريطانيا بالطبع. إذن من هذه الغرفة بالذات إلى أيِّ جهة ينبغي أن تولِّي وجهها؟ أين بالضبط يقع الجنوب الشرقي؟

ما بصدِّق. أنت هنا سنة كاملة وما بتصلِّي؟

نعم، هو ذاك.

ويوم الجمعة؟

حتى يوم الجمعة عندي محاضرات" (أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٤١).

نلحظ في هذا الحوار القصير ضياع الهوية الدينية عند هذا المبتعث الذي أضاع صلواته فضاع دينه، وحجته واهية أبان عنها في بقية الحوار، بزعم منه أنه لا يجد الوقت للصلاة بسبب المحاضرات المتلاحقة، وقد استخدمت القاصة بعضًا من الكلمات السودانية الدارجة في حوار الزوجة مع زوجها: (وين القبلة؟ / ما بصدق. / وما بتصلي؟)، وهي كلمات نابعة عن قلب شغوف بالدين، مرتبط بشعائره، يحكي عقيدة المرأة السودانية الملتزمة بإيمانها وعقيدتها حتى وإن كانت بعيدة عن بلدها، فلا تنفك عن انتمائها وولائها للدين الإسلامي.

ويتواصل النقاش في موضع آخر عن أهمية الصلاة في كلِّ وقت ومكان، فالمغترب مجدي يبرهن تهاونه بالمحافظة على أداء الصلوات أمام زوجته بحجة واهية تقول القاصة في ذات القصة: "كان مجدي في قرارة نفسه ممتنًا لها على ما أضفته على حياته من راحة وبهجة، مفتونًا بنظراتها وضحكاتها، والآن تريد أن تفسد ذلك بالحديث عن الدين، وتذكيره بأنَّ من لا يلتزم بهذه الصلوات الخمس يحرم نفسه من الهداية والحماية الربانية. أو لم يكن مؤمنًا؟ بلى كان مؤمنًا إلى حدٍّ ما، لكنه كسول وتعوزه الحماسة. الصلاة هنا في لندن، في رأي (مجدي) تصبح عائقًا، والالتزام بأدائها تكتنفه صعوبات جمَّة أهمها تغيير المواقيت. "ما تناقشيني في الموضوع دا تاني" قال أخيرًا وهو يجذبها نحوه: "بطِّلي النِقَّة"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٤٣)، فهذا المغترب ألهته الدنيا، وشغلته ملهياتها عن أداء ما افترضه الله عليه، ويصل الحال به إلى أن يدافع عن عمله بلهجة حادة معتمدًا على اللهجة السودانية في خطابه: (ما تناقشيني تاني/ بطِّلي النقَّة)، وفي ذلك إشارة إلى نفسية سيئة جمع فيها مجدي بين الحشف وسوء الكيل!

ونموذج آخر لافتراس الغربة لإيمان المغترب (مجدي)، وتهاونه في شعائر دينه، تصوِّر القاصة حال أحد المغتربين وهو يخاطب زوجته قائلا: "قال لسمرة ذات مرة: إنَّ هذه البلاد تفترس إيمان المرء افتراسًا بطيئًا، لكنه بدأ الآن يميل إلى الاعتقاد بأنها إنما تفترس كافة المعتقدات؛ بل حتى إيمانها بنفسها. وبما أنَّ هذه البلاد قد قَبِلته

الآن واستوعبته، فإنَّ إعجابه بها قد استقر..."(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٥٦).

ومهما يكن من أمر، فإنَّ المسلم ينبغي أنْ يلتزم بشعائر الدين، ولا يفرِّط بها في أي مكان وزمان، وخاصة الأركان التي لا نقاش فيها، وفي مقدمتها الصلاة، التي يجب المحافظة عليها سفرًا وحضرًا وفقًا لتعاليم الإسلام وسماحته، وهذا هو المغزى من مضامين هذه القصة.

ثانيا: الزواج من الأجنبيات:

من الآثار السلبية في الغربة: زواج بعض المغتربين من الأجنبيات، والبعد عن بنات الوطن اللواتي يتشابهن مع المغترب في دينه، ولغته، وتقاليده، أو العكس زواج المغتربات من أجنبي عنهن.

وفي قصص: "متاهة كل صيف" تذكر القاصة إحدى الزيجات اللاتي تمت من فتاة سودانية بأحد الرجال الأوروبيين، تقول في القصة الموسومة بـ: "سماء أخرى": "شقيقها كان متكئًا على تويوتا متهالكة. كان طويلًا نحيلًا يرتسم على وجهه شعور بالغبن. بدا متواترًا. ربما بسبب التنازع بين رغبته في أنْ تجد شقيقته زوجًا وعدم ارتياحه لزواجها من أجنبي. ترى كيف يراه الآن، عبر هاتين العينين الضيقتين، ما رأيه فيه؟ أوروبي يأتي ليصافحه، ويغمغم "سلام أليكم".. وكما توقَّع، يرتدي بنطالًا من الجينز وقميصًا أبيض لكنه إلى حدٍّ ما هادئ إلى درجة لا تتناسب مع وافد غريب"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ٣٦)، ويظهر الجانب السيء في تصوير امتعاض الشقيق من زوج أخته، وتضايقه من الأمر عن طريق الاتكاء على أسلوب الاستفهام بطرح تساؤلات عدة تشي بعدم اقتناعه بهذا الزوج، وخاصة في افتقار هذه الشخصية للبعد الثقافي المحلي، وهو عدم إجادته اللغة العربية لغة التواصل والتخاطب والتجاذب بين الطرفين، وذلك باستخدامه لهجته المتكسرة التي تنطق بشيء من اللغة العربية، إضافة إلى ما ذكره من أبعاد جسدية لأوصاف عينيه الضيقتين، وأخرى اجتماعية من خلال اللبس الذي يرى افتقاره إلى الزيِّ السوداني الشعبي بالثوب ذي الأكمام الواسعة، والعمامة الشهيرة التي يفتخر بها كل سوداني أصيل، وكأنه بذلك يشي بعدم مناسبته للزواج من أخته، ولكنها الغربة التي جاءت بمثل هذه التبعات والآثار السلبية!

ثالثا: الآثار النفسية للمغترب لحظة العودة إلى الغربة بعد انتهاء زيارة الأهل:

يصوِّر الأدب شعره ونثره لحظات الوداع، وهي من المواقف النفسية الصعبة التي يمرُّ بها الإنسان في حياته، إذ يتحوَّل الموقف من حلاوة اللقاء والاجتماع إلى مرارة الفراق والابتعاد، حين يغادر الإنسان وطنه، لتحط رحاله ديار الغربة، ولم يكن الوداع أمرًا هيّنًا على نفوس الذاهبين إلى بلاد الغربة؛ بل كان علقمًا يكتنفه الألم. (الخليلي،٢٠٠٧م، ٩٧).

ونعلم أنَّ المغترب يزور أهله بين الفينة والأخرى، وأحيانًا يكون نزوله إلى أرض الوطن في الإجازة الصيفية، وهذا ما تحدَّثت عنه القاصة ليلى أبو العلا في حديثها عن إحدى المغتربات في القصة الموسومة بـ:"متاهة كل صيف" تقول: "لم تكنْ هي المرَّة الأولى التي تستقلُّ فيها طائرة مصر للطيران في رحلتها من هيثرو إلى القاهرة. فقد كانت حياة "نادية" خطًّا متعرجًا من تلك الزيارات السنوية التي تستهلك أحيانًا أيام الإجازة بأكملها وتجعل العودة للمدارس في سبتمبر تبدو أمرًا مفاجئًا لم يكنْ في الحسبان"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ٦٥)، فالقاصة تستخدم تقنية تسريع الزمن السردي أثناء حديثها

عـن سرعـة انقضـاء الأيـام التـي يقضيهـا المغـترب عنـد زيـارة الأهـل، ممـا يجعـل النفـس ثقيلـة للرجـوع إلى بـلاد الغربـة، والآثـار النفسـية التـي سـيودِّع فيهـا المغـترب أهلـه وأحبابـه، ليواصـل رحلـة الكفـاح مـرة أخـرى.

كـما أنَّ أهـل المغـترب يعيشـون لحظـات الحـزن في بعـض الأوقـات، وحسـب مـا يحصـل لقريبهـم في غربتـه، فالقاصـة تصـوِّر مـا حصـل لمجـدي في غربتـه قائلـة في القصـة المعنونـة بـ"حرمـان": "خـلال الفصـل الأول مـن دراسـته بالكليـة في لنـدن، كتـب (مجـدي) إلى أهلـه يعلمهـم بعجـزه عـن المواصلـة، وينذرهـم بأنـه سـيقطع دراسـته ويعـود. كان عـلى أمـه لكـي تفلـح في الاتصـال بـه هاتفيًـا أنْ تقـوم بعـدَّة مشـاوير إلى البريـد العمومـي في الخرطـوم، حيـث تجلـس لسـاعات عـلى المقعـد الخشـبي الطويـل ممسـكة بطـرف ثوبهـا تحركـه يمنـة ويسـرة لعلـه يدفـع عـن وجههـا شـيئًا مـن القيـظ الخانـق، فيـما تهـشُّ عنها أطفـالًا حفـاة يتزاحمـون حولهـا في محـاولات لا تعـرف اليـأس لإقناعهـا بـشراء مـا يحملونـه..."(أبـو العـلا، ٢٠١٧م، ١٣٥)، فصـورة الإرهـاق والتعـب الـذي أصـاب شـخصية والـدة المغـترب (مجـدي) صـورة تحكـي حيـاة المشـقة والإرهـاق مـن جهـة، وحيـاة الكفـاح ومقاومـة التعـب بـكلِّ جـدٍّ وصـبر مـن جهـة أخـرى، وفي كلا الأمريـن فـإنَّ في حيـاة الأم آلامًـا وإرهاقًـا، وإحساسًـا وشـعورًا مرهفًـا تجـاه ابنهـا، لعـلَّ هـذه الآلام والمخـاوف تتبـدد عندمـا يحقِّـق الابـن مبتغـاه، وينـال نصيبـه ويحقِّـق طموحـه الـذي اغـترب مـن أجلـه.

رابعا: قلق المطارات:

يصيـب كثـيرٌ مـن المسـافرين قلقًـا وتوتـرًا في المطـارات، ومـن ذلـك: مـا يحـدث أثنـاء ركوبهـم الطائـرة في مقاعـد الرحلـة، إمـا لصغـر حجمهـا، أو لعـدم توفـر الراحـة فيهـا، وغـير ذلـك، كـما أنَّ توزيـع المقاعـد يفـرِّق بـين بعـض الأهـل والأصحـاب ممـا يجعـل المسـافر في ضيـقٍ مـن أمـره، وتنكُّـدٍ طـول رحلتـه، فللمـكان أثـر في "إحـداث رؤيـة واعيـة لعذابـات الـروح ومعاناتهـا، وفجـوة نفسـية في كيـان المغـترب وصرخـة مؤلمـة، فطالمـا عـبر المـكان عـن العلاقـة غـير المنسـجمة بينـه وبـين الـذات المقيمـة فيـه، إذ نلمـس خلـف أسـتار المـكان صيحـات دفينـة توحـي بمعانـاة التوتـر والقلـق والخـوف عـلى النفـس"(الفلاحـي، ٢٠١٣م، ٨٥)، وهـذا هـو المـكان السـيء/ السـلبي الـذي لا يجـد فيـه صاحبـه راحـة ولا طمأنينـة، بخـلاف المـكان الإيجـابي الـذي ترتـاح لـه النفـس وتألفـه.

ومـما يعانيـه المغـترب في رحـلات الطـيران التـي تقلّـه ذهابًـا أو إيابًـا تلـك المقاعـد وتوزيعهـا، ممـا يجعـل اللجـوء إلى مضيـف الطـيران أمـرًا ضروريًـا لحـل المشـكلة، تقـول القاصـة ليـلى أبـو العـلا في تصويـر ذلـك في قصتهـا التـي أسـمتها بـ"متاهـة كل صيـف": "جميـع مقاعـد الرحلـة كانـت محجـوزة، ويبـدو أنَّ ثمـة أخطـاء في توزيـع المقاعـد. تابعـتْ نادية المضيـف يجتهـد بإنجليزيـة مكسَّرة لكـي يقنـع راكبَـين بالتحـوُّل إلى مـكان آخـر عـلى الرغـم مـن أنَّ بطاقـة الصعـود للطائـرة تؤكِّـد أنهـما يجلسـان في المقعديـن الصحيحـين"(أبـو العـلا، ٢٠١٧م، ٦٥)، فمقعـد المسـافر في الطائـرة أثنـاء حجـزه لـه يشـكّل مكانـا إيجابيًّـا لـه، لكنـه يتحـول قبـل الإقـلاع إلى مـكان سـلبي بسـبب بعـض الفـوضى التـي تحدثهـا بعـض الأُسر، فهـذه أسرة متفرقـة في مقاعدهـا أثنـاء الحجـز فـإذا ركبـوا في الطائـرة اختـاروا المقاعـد المتجـاورة، ممـا يسـبب ربكـة في المقاعـد فيسـتدعي ذلـك موازنـة الأمـور مـن قبـل المضيـف المسـؤول عـن هـذه الحجـوزات.

وثمـة أمـر آخـر يتعلَّـق بالطائـرة أثنـاء رحـلات

المغتربين، وهي الأمتعة التي يصطحبونها معهم في رحلاتهم، وغالبًا ما تكون الحقائب من ذوات الأحجام الكبيرة، نظرًا لطول الغربة التي يمكثون فيها، وكثرة لوازمهم الخاصة أحيانًا، وإحضار بعض الهدايا للأهل أثناء العودة أحيانا أخرى، وتصور القاصة ذلك بقولها: "أما التحدي التالي الذي واجهه طاقم الضيافة الجوية، فتمثَّل في إيجاد مساحة تخزين تستوعب الأمتعة اليدوية التي كانت بصحبة الركاب المصريين، والتي كانت عبارة عن أكياس بلاستيكية كبيرة منتفخة، ومحشوة عن آخرها بما استطاعوا شراءه من مستلزمات. تمامًا مثلما فعلت أمي، قالت نادية في سرِّها"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ٦٦)، وتتكئ القاصة في حديثها عن هذه المشكلة على تقنية الوصف التي تجعلك تتخيل تلك الحقائب، وكيف تسبب مشكلات وتأخيرًا للمسافرين أثناء إنهاء إجراءات سفرهم.

وعلى أية حال فإنَّ هذين الأمرين: (الأمتعة/ المقاعد) لن ينتهيا من مشكلات المسافرين على الطائرات، ما دام الإنسان غير ملتزم بنظام الطيران، ولا يتعامل مع الأنظمة التي وُضعت للجميع باحترام والتزام، ولكن طبيعة بعض البشر ممن اتصف بالأنانية وحب الذات، ويحاول أن يبحث عمَّا يخدمه بغض النظر عن الآخرين وحقوقهم، مما يستدعي الفصل في ذلك وفق النظام في بعض المواقف، والمرونة فيه أحيانًا أخرى عندما يتم نقل راكب إلى مقعد آخر بموافقته، وطيب نفسٍ منه؛ تلبية لحاجة ركّاب آخرين، وكذلك التغاضي عن بعض الأمتعة الزائدة في الوزن، أو تطبيق النظام في حقها.

خامسا: الشعور بألم البعد والفراق عن الوطن:

يعد الحنين إلى الوطن أمرًا إيجابيًّا؛ لأنه يحكي شوق المغترب إلى دياره، وحنينه إلى أهله وأحبابه وأصدقائه، ويكون سلبيًّا نتيجة ما تسببه الغربة من الشعور الناجم عنها من ألم البعد والفراق، وطول الغياب، وزيادة الوحشة مما يحدث قلقًا وشعورا سيئًا، فيصبح الأمر سلبيا على المغترب من الناحية النفسية.

وقد صوَّرت الكاتبة هذا الشعور أثناء غربتها بقولها: "هذا الوضع غير المستقر أورثني شعورًا بالانقطاع عن الجذور. هكذا وجدت نفسي في حالة من الغربة والحنين للوطن"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١١)، وهذا شيء بدهي متأصِّل في الإنسان في وفائه لأرضه ووطنه الأم، كما قال الشاعر:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدًا لأول منزلِ

وقد صوَّر الجاحظ البعد عن الوطن، وأثره على المغترب قائلا: "إني فاوضتُ بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهدَ من وطنه، وأعمرَ من مكانه، وأخصبَ من جنابه، ولم يزلْ عظيم الشأن، جليل السلطان تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه أو راهب منه، فكان إذا ذكر التربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها"(الجاحظ، ١٩٨٢م، ٦).

وفي موضع آخر، تصف الساردة نفسية زوجة المغترب مجدي السيئة، بسبب بعده عن وطنه، قائلة في قصة "حرمان": "بدأ يميل إلى الاعتقاد بأنَّ الحنين إلى الوطن الذي تعاني منه ما هو إلا نوع من المشاكسة، وأنَّ نفورها التام من التكيُّف مع حياتها الجديدة عناد ليس إلَّا. بدأ يتضجَّر من

تعلُّقها العاطفي بالوطن وعجزها عن التغيير أو اقتراع مسار جديد لحياتها. التعلُّق بالوطن أصبح عائقًا دون تقدُّمها، يعميها عن تبين المكاسب التي يمكن أن تجنيها. ثمة فرص كثيرة وأبواب كثيرة، لكنها ما تزال مشدودة إلى الماضي، تحنُّ إلى السودان بينما يتسلَّل الحاضر من بين يديها"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٥١- ١٥٢)، فعلى الرغم من الفوائد الكثيرة التي من الممكن أن تجنيها الزوجة في غربتها، إلا أنها لم تستطع أن تتأقلم في أجواء بلد آخر غير بلدها السودان، فكان البعد عن الوطن مزعجًا بالنسبة للزوج، وسيكون سببًا رئيسًا لتغير حياته مرة أخرى عندما تعود الزوجة إلى وطنها، وسيعود هو بطبيعة الحال إلى أيام الوحدة، وأيام ما قبل الزواج عندما كان وحيدًا في غربته، جامعًا بذلك بين الغربة الجسدية (غربة عن الوطن)، والغربة النفسية (غربة الوحدة والانفراد).

سادسا: التأثر ببعض العادات السيئة:

يتأثر المغترب ببعض العادات والتقاليد الغربية السيئة، مما يخالف عاداته وتقاليده التي اعتاد عليها في بلده، وهذا مما يجعل المغترب يبحر في فضاءات المجهول، مستشعرًا عدم الانتماء، والعيش في الغربة وسط عادات غريبة عليه. (العبد الله، ٢٠٠٥م، ٢٢٥).

وقد أوضحت القاصة ليلى أبو العلا بعضًا من هذه السلبيات، ومن ذلك قولها: "استخدام كلمة "فظيع" وذلك التعبير عن القرف من فكرة زواج الأقارب هو شيء علَّمها إياه الإنجليز، شيء لا يمكن أنْ تشعر بي فتاة تربتْ ونشأتْ في مصر"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ٨٥)، فالزواج من الأقارب عادة متعارف عليها عند بعض المجتمعات العربية، ومع ذلك تتفاجأ بضدِّ ذلك في غربتها عند الإنجليز؛ بل إنه يعدُّ أمرًا فظيعًا مستغربًا عندهم!

ومن الآثار السلبية في الغربة: تأثر بعض الفتيات باللباس الغربي، وعدم الاحتشام في لبسهن، تصف القاصة هذا التأثر بقولها: "لقد التقى إبَّان إقامته في لندن بسودانيات كثيرات تألقن في وسطهم الجديد. شاهدهنَّ يرتدين بناطيل ضيقة ما كنَّ ليجرؤن على ارتدائها في الوطن، في أصابعهن تتراقص لفافات التبغ، لم يكنْ يتوقع منها ولا يريدها أن تقلدهنَّ في هذه الأشياء"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١٥٢)، فهذه المظاهر السلبية المتمثلة في (اللباس الغربي، والتدخين) شاهد على سوء الحياة الاجتماعية في الغربة إذا قارنتها بالحياة الاجتماعية في السودان البلد الملتزم بعاداته وتقاليده وتعاليم دينه الإسلامي الحنيف.

سابعا: الاغتراب الثقافي:

يعيش المغترب حياة ثقافية مختلفة عن الثقافة التي اعتاد عليها في بلده، فالاختلاف في نواح شتى: فهناك اختلاف في الثقافة الدينية، وآخر في الثقافة الاجتماعية، وغيرهما.

توضِّح القاصة غربتها في أوروبا قائلة: "أُعاني الاغتراب الثقافي كعربية مسلمة تعيش في أوروبا في تسعينات القرن الماضي"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ١١)، فنلحظ في هذا المقطع القصير شدَّة المعاناة التي عاشتها القاصة في غربتها، فكلمة (أعاني) تحمل دلالات عميقة في الأثر النفسي السلبي لدى شخصية المغترب، كما أنها لم تكتف بذكر سبب المعاناة بأنها مسلمة؛ بل ذكرت أنها (عربية/ مسلمة)، مما يعني أنَّ الاختلاف في الثقافة اللغوية، وكذلك في الثقافة الدينية، وهذا مما يجعل الغربة أمرًا صعبًا ينبغي للمغترب أنْ يستعدَّ له، ويتهيأ لذلك وخصوصًا من الناحية النفسية، ويدرك تلك الاختلافات، ويتأقلم معها حسب جهده؛ لإدراك ما يصبو إليه في غربته.

ثامنا: قلق التأشيرات أثناء السفر:

يمرُّ المغترب بإجراءات نظامية أثناء ذهابه وإيابه، ومن ذلك: استخراج تأشيرات السفر، والقيام ببعض الإجراءات التي تلزمه.

فالقاصة ليلى أبو العلا تشير إلى بعضٍ من تلك الأنظمة والإجراءات في قصصها قائلة في القصة الموسومة بـ"سماء أخرى": "أعني أننا لن نستطيع المغادرة بعد الزواج مباشرة. لا بدَّ من الانتظار لبضعة أيام ريثما تنجز بعض الإجراءات. ثم السفارة البريطانية... تلك قصة أخرى.

قال: لا أفهم، أين المشكلة؟

أطلقت زفرة من صدرها: الناس يتزوجون ويسافرون مباشرة لقضاء شهر العسل. أما نحن فلا نستطيع ذلك. لا بدَّ من الانتظار لعدَّة أيام والركض من وزارة الداخلية إلى مكتب الجوازات إلى السفارة البريطانية.

آه فهمتْ. وهل أحتاج أنا أيضًا إلى تأشيرة خروج؟

لا، أنتَ زائر ويمكنك المغادرة في أي وقت تشاء. أما أنا فأحتاج لتأشيرة. لا بد أن يكون لديَّ سبب يدعوني للمغادرة"(أبو العلا، ٢٠١٧م، ٣٩)، تصور القاصة الأثر السلبي عند إصدار التأشيرات بأسلوب حواري، متكئة بذلك على أسلوب الاستفهام؛ لإظهار حجم القلق الذي يعانيه المسافرون، فالأنظمة والإجراءات تشكِّل ضغطًا نفسيًّا عليهم، فما بين جهدٍ بدنيٍّ في التنقل بين أمكنة قد تكون بعيدة عن بعض، وآخر نفسيٍّ يشوبه الترقُّب والانتظار لعدة أيام عمَّا ستسفر عنه تلك التأشيرة.

هذه أبرز السلبيات التي ذكرتها القاصة ليلى أبو العلا في مجموعتها القصصية: "متاهة كل صيف"، وبعضها يختص بها، وبعضها لمغتربين آخرين من أبناء وطنها السودان، أبانت عنها بأسلوب قصصي سهل، ولغة واضحة لا يشوبها غموض ولا خفاء.

خاتمة البحث:

هدفت الدِّراسة إلى بيان أثر الغربة على المغترب، وخاصة المواطن السوداني الذي تنتمي إليه القاصة، وذلك في المجموعة القصصية الموسومة بـ: "متاهة كل صيف" للكاتبة ليلى أبو العلا، وسألخص النتائج في ركيزتين أساسيتين:

- الركيزة الأولى، تتعلق بالآثار الإيجابية للغربة، وأبرزها ما يأتي:
- للغربة أثر إيجابي في توجيه الكاتبة نحو الكتابة الإبداعية، وتدوين المذكرات اليومية.
- توفر المكتبات في مكان غربة القاصة (بريطانيا) له أثر إيجابي في نفس المغتربة، لقضاء وقت مفيد في القراءة، واستعارة كتب عند الحاجة دون مقابل مادي، وما تحويه تلك الأمكنة الإيجابية من تنوع في البرامج الثقافية مقارنة بما تشاهده في بلدها.
- تمثل اللقاءات الدينية والاجتماعية أثرًا إيجابيًّا في نفس المغترب، والترويح عنه، لتجاذب أطراف الحديث بين أبناء الوطن الواحد.
- جودة بعض الخدمات المقدمة في بلاد الغربة (بريطانيا)، مقارنة بما هو موجود في بلاد القاصة (السودان)، سواء أكان في مجال الصحة من علاج ونحوه، أو البضائع المتوفرة في الأسواق وخاصة المأكولات وغيرها، مما يدعو إلى الإفادة منهم، ولحاق الركب في ذلك.
- التقدُّم المعرفي في بريطانيا من ناحية توفر

- المكتبات، ووسائل البحث السريعة فيها، وخاصة التقنية، مقارنة بما هو موجود في السودان.
- تقديم المغترب المسلم - سواء أكان من الجنسية السودانية أو غيرها - رسالة إيجابية عن دينه وتقاليده وعاداته، والظهور بمظهر يليق بأخلاق المواطن المسلم النبيل المتمسك بدينه وتقاليده الاجتماعية، والتأثير بالآخرين عن طريق المعاملة الحسنة.

أما الركيزة الثانية، فتتعلق بالآثار السلبية للغربة، وأبرزها ما يأتي:

- غياب الشعور الديني، والتهاون في بعض الشعائر الدينية، وخاصة أداء الصلاة في وقتها؛ نظرًا لقلة المساجد، وقلة سماع الكلمات المرتبطة بالإسلام وشعائره من أذكار وأدعية يومية وغيرها.
- الزواج من الأجانب، على الرغم من الاختلاف في الدين، واللغة، والعادات، والتقاليد.
- ما يحصل للمغترب من آثار نفسية له ولأهله أثناء الاستعداد للعودة إلى بلاد الغربة مرة أخرى، وانتهاء مدة زيارة الأهل في الوطن الأم.
- قلق المطارات، وما يحدث فيها من سوء توزيع مقاعد الطيران أثناء الحجز، مما يسبب ارتباكًا أثناء ركوب المسافرين وعدم الالتزام بالمقاعد المخصصة لهم، فكل مسافر يبحث عن الجلوس بجانب أهله وأصحابه، بعيدًا عن الالتزام بالمقعد المخصص له، مما يحدث جدلا قبيل إقلاع الطائرة، وكذلك ما يتعلق بالأمتعة والكمية المخصصة لكلِّ مسافر.
- بُعْد المغترب عن وطنه، واشتياقه له، وما يحدث له من أثر نفسي سيء، وهذا من أقسى وأشد ما يعانيه المغترب أثناء تذكّره لأهله وأصدقائه والذكريات التي عاشها على تراب وطنه.
- التأثر ببعض العادات الغربية السيئة، وخاصة فيما يتعلق باللباس غير المحتشم، وغيره، والتحذير من الانسياق خلف ذلك.
- الاغتراب الثقافي، سواء أكانت غربة في الثقافة الدينية، أو الاجتماعية، أو غيرهما مما هو مختلف عما هو موجود في الوطن الأم، مما يلزم المغترب التمسك بأصوله وجذوره دون أن يغيره مكان أو زمان.
- القلق الذي يصيب المغترب أثناء استخراجه للتأشيرة، وترقُّب ما تؤول إليه الإجراءات النظامية بحقِّها، ثم ما يعقب ذلك من إجراءات للسفر والمغادرة إلى البلاد.

هذه أبرز الآثار الإيجابية والسلبية مما أشارت إليه القاصة ليلى أبو العلا في مجموعتها القصصية القصيرة الموسومة بـ: (متاهة كل صيف).

وفي الختام أوصي بدراسة نتاج هذه القاصة العربية المبدعة، فقد حازت كتاباتها على جوائز متنوعة، ولا يمنع أن تكون الدراسة موسعة فتكون رسالة ماجستير، متضمنة الجوانب الموضوعية والفنية في نتاجها السردي، سائلا الله التوفيق للجميع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مصادر البحث ومراجعه

الكتب المطبوعة:

المصادر:

- أبو العلا، ليلى، ٢٠١٧م، متاهة كل صيف، ترجمة عادل بابكر، الطبعة الأولى، الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع.

المراجع:

١. ابن منظور، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، لسان العرب، الطبعة الثالثة، الرياض: مكتبة الرشد، بيروت: دار صادر.

٢. التميمي، ساجدة عبد الكريم، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٧م، الاغتراب في شعر نازك الملائكة، الطبعة الأولى، دار غيداء للنشر والتوزيع.

٣. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، الحنين إلى الأوطان، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي.

٤. الجبوري، يحيى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

٥. جعفر، محمد راضي، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى،عمان،الأردن،دارالمعتزللنشروالتوزيع.

٦. حور، محمد إبراهيم، ١٩٨٩م، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، الطبعة الثانية، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع.

٧. الخشروم، عبدالرزاق، ١٩٨٢م، الغربة في الشعر الجاهلي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

٨. طحطح، فاطمة، ١٩٩٣م، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة.

٩. عبد السلام، فاتح، "١٩٩٩م، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٠. العبد الله، يحيى، ٢٠٠٥م، الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١١. عز الدين، يوسف، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، قديم لا يموت وجديد لا يعيش: آراء نقدية صريحة في الحداثة والأدب، دار الإبداع الحديث للنشر.

١٢. الفلاحي، أحمد علي، ٢٠١٣م، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري: دراسة اجتماعية نفسية، الطبعة الأولى، الفلوجة، العراق، دار غيداء للنشر والتوزيع.

١٣. مساعدية، لزهر، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، الجزائر: دار الخلدونية.

الرسائل العلمية:

١٤. الخليلي، مها روحي إبراهيم، "الحنين والغربة في الشعر الأندلسي: عصر سيادة غرناطة: ٦٣٥- ٨٩٧هـ، أطروحة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، إشراف أ.د. وائل أبو صالح، (٢٠٠٧م).

المجلات العلمية:

١. شهاب، رافد سالم سرحان، أثر الغربة والاغتراب في شعر الجواهري: دراسة تحليلية، مجلة التقني، المجلد السادس والعشرون، العدد السادس، (٢٠١٣م).

٢. كرم الدين، عبدالرحمن أحمد إسماعيل، السرديّ في شعر الفيتوري: قصيدة مقتل السلطان تاج الدين نموذجا، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس والعشرون، (شوال ١٤٣٣هـ، سبتمبر ٢٠١٢م).

٣. محمد، ندى حسن، فاعلية الحوار في قصص جمال نوري – دراسة تحليلية، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٥١، (سنة ٢٠١٨م).

٤. النوري، قيس، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، (أبريل ١٩٧٩م).

المواقع الإلكترونية:

١. الذيابات، علي محمد، "الاغتراب ومتاهة الذات في رواية: (أعالي الخوف) لهزاع البراري". مجلة معارف، تاريخ النشر (١/ ١٢/ ٢٠١٧م)، وهي موجودة على الشبكة العنكبوتية، ورابطها:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/92794

٢. موقع الموسوعة الحرة (ويكبيديا عن القاصة) والرابط: https://cutt.us/F9F2N

Sources:

- Abu El-Ela, Laila,"Matahat Kul Suyf".

(A Labyrinth of Every Summer, translated by Adel Babiker, House of Photographers for Publishing, Printing and Distribution, Khartoum, first edition, 2017).

References:

1. Ibn Manzur, "Lisan al-Arab". (Al-Rushd Library, Riyadh, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH - 1994 AD).
2. Al-Tamimi, Sajida Abdul Karim, "Al Gorba fi Shai'r Nazik Al Malaai'kah ". (Alienation in the poetry of Nazik Al-Malaika, Dar Ghaida Publishing and Distribution, first edition, 1437 AH, 2017).
3. Al-Jahiz, Abu Othman Amr Ibn Bahr, "Haneen Al Maddi Lil Al Watan". (Nostalgia for Homeland, Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut, Lebanon, second edition, 1402 AH, 1982 AD).
4. Al-Jubouri, Yahya," Al Haneen Wa Al Mannfaa fi Al Shai'r Al Arabi". (Nostalgia and Exile in Arabic Poetry, "Nostalgia for the Homeland", Majdalawi House for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, first edition, 1428 AH, 2008 AD).
5. Jaafar, Muhammad Radi, "Al Gorba fi Al Shai'r Al Arabi". (Alienation in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al Moataz for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, first edition, 1434 AH, 2013 AD).
6. Hoor, Muhammad Ibrahim, "AL Haneen ila Al Watan fi Al Addab Al Andalusi". (homesickness in Arabic liter-

Publishing and Distribution, Fallujah, Iraq, first edition, 2013 AD).

13. Mosaediya, Lazhar, "Nadharia Al Gorba fi Al Mandhor Al Arabi wa Al Qarbi". (The Theory of Alienation from the Arab and Western Perspectives, Dar Al-Khalduniya, Algeria, edition 1434 AH - 2013 AD).

Articles:

- Al-Khalili, Maha Rawhi Ibrahim, "Nostalgia and Exile in Andalusian Poetry "The Era of the Sovereignty of Granada: 635-897 AH". (a master's thesis submitted to the Department of Arabic Language at the Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University in Nablus, Palestine, supervised by Prof. Wael Abu Saleh, 2007 AD).

Scientific journals:

1. Shehab, Rafid Salem Sarhan, "The Impact of Alienation and Alienation in Al-Jawahiri's Poetry". (An Analytical Study", Al-Taqni Journal, Volume Twenty-six, Issue Six, 2013 AD).
2. Karam Al-Din, Abdul Rahman Ahmed Ismail, "Narrative in the Poetry of Al-Fitouri, "The Poem of the Killing of Sultan Taj Al-Din". (as an example, Journal of Arab Sciences, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Issue Twenty-fifth, Shawwal 1433 AH, September 2012 AD).
3. Muhammad, Nada Hassan, "The Effectiveness of Dialogue in Jamal Nouri's Stories - An Analytical Study".(Journal of the Kufa Studies Center, Issue ature until the end of the Umayyad era, Dar Al-Qalam for Publishing and Distribution, Dubai, second edition, 1989).
7. Al-Khashroum, Abd al-Razzaq, "Al Gorba fi Al Shai'r MaQable Al Islam". (Alienation in Pre-Islamic Poetry, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1982).
8. Tahtah, Fatima," Al Gorba wa Haneen fi al Shai'r Al Andalusi ". (Alienation and Nostalgia in Andalusian Poetry, Publications of the Faculty of Arts in Rabat, New An-Najah Press, Casablanca, 1993).
9. Abdel Salam, Fatih, "Al Hiwar Al Riwaee". (Narrative Dialogue, its Techniques and Narrative Relationships, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, first edition, 1999).
10. Al-Abdullah, Yahya, "AL Gorbah) Alienation: "An Analytical Study of the Novel Characters of Taher Bin Jelloun", The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, first edition, 2005 AD).
11. Ezz El-Din, Youssef, "AL KIbar la Yamutoon Wa Al Sugar la Yeeshoon) and Old Do Not Die and New Do Not Live: Explicit Critical Opinions on Modernity and Literature". (House of Modern Creativity for Publishing, 1416 AH, 1996 AD).
12. Al-Falahi, Ahmed Ali, "Al Gorba fi Al Shai'r Al Arabi". Alienation in Arabic poetry in the seventh century AH (a socio-psychological study". (Dar Ghaida

51, 2018).

4. Al-Nouri, Qais, "Al Gorbah wa Mafhoom Al Istilahi". (Alienation, idiomatically, conceptually and de facto, Journal of the World of Thought, Volume Ten, Number One, April 1979).

websites:

1. Al-Dhibat, Ali Muhammad," Al Gorba wa Matahat Al Nafise fi Al Riwayah". Alienation and the Labyrinth of Self in the novel (Higher Fear) by Hazaa Al-Barari, Maarif Magazine, published in 12/1/2017 AD, which is available on the Internet, and its link: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/92794
2. The free encyclopedia website (Wikipedia about the cut) and the link: https://cutt.us/F9F2N.